لمناسبة اربعينية الفنان عوني كرومي

عوني كرومي يكشف عن خرائط سرية

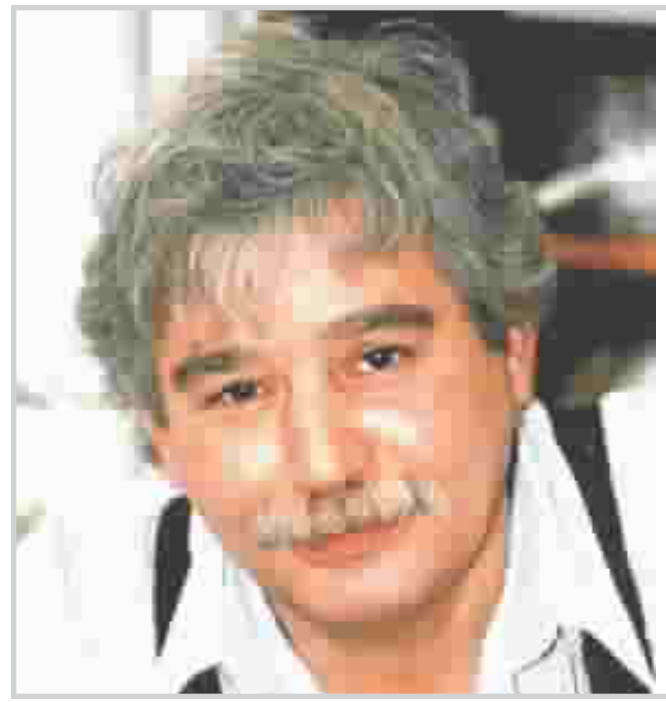

د. عقيل مهدي

افتقد المشهد الثقافي العراقي برحيل د. عوني كرومي واحداً من بين انصع رموزه الابداعية والفنية والجامعية.

ربما لم يحن الاوان بعد للتوقف برهة لتقويم جهوده المسرحية النظرية والتطبيقية لرحيله المباغت والشرس!!

كيف يمكن لنا تصديق انطفاء تلال من النور، كان يكشف لنا عن خرائط وعوالم سرية فيجسمها امام جمهوره وهي تحمل احساسات مرهفة من نمط رفيع؟ كان يحرص على تلوين كل عرض بمنظور لوني وتشكيلي خاص.

وكانت فعاليته المتميزة معروفة للمسرحيين وسواهم، عراقيين، وعرباً وحتى اجانب. ترك الراحل حضورا متميزا في ضمير مسرحنا الوطني، وبات تماسك تجربته، وتوترات تساؤلاته، علامات دالة على طريق الحداثة المسرحية التي فتح آفاقها مع زملائه من المبدعين المسرحيين العراقيين.

لقد انشغل تماماً بالمحلي والعالمي، الفولكلوري والثقافي، الزمني واللازمني، وفق صياغات مسرحية، تقدم المغاير والتجريبي، وتعلو على الراكد والمكرس التقليدي الباهت.

كرست الكثير من الاهتمام النقدي بتجربة د. عوني، وسيصدر كتاب يلم بما انجزه هذا المسرحي اللامع، والانسان الطيب.

كان آخر اتصال بيننا في عمان حيث جاءني بالهاتف الفنان "علي ماجد" وهو يسلم بدفئه المعهود على الاصدقاء، ويوصينا بالانتباه إلى انفسنا، وابلغته باننا نتمنى حضوره بيننا، لنستمع الى آخر احلامه، وتطلعاته، ومشاريعه، تحدثنا، وكانت رنة الفرح بادية في صوته وهي تخرس صراخ قبله المكلوم والموجوع بفعل المرض والغربة ومشقة ارتقاء منابر المسرح ومنصاته الكونية العابرة للقارات والملتقية عند تخوم بصيرة الانسان في وسط مجتمعي، يحسن الاهتداء الى اشكالياتها المسرحيون الخلاقون ومنهم صديقنا عوني.

ان وقفة الاستذكار هذه التي يشترك بها خيرة مبدعينا، تدل دلالة بالغة الاهمية على عمق تجربته ورصانتها، من الصعب في وسط بالغ الحساسية والتعقيد، ان يستقل المخرج بشخصيته واسلوبيته الفنية، لكنه نحت بجهادية عالية، وارادة جبارة معالم خاصة به، وبمسرحه الوطني فبات جزءاً حيويا منها، لا احد يزعم ان بمقدوره الفصل ما بين هذين المكونين، اقصد (الشخصي) و (الوطني) في واقع مسرحنا العراقي، وتقاليده الابداعية الخاصة.

بمقدورنا وضع مقترحات "نظرية" تنظر في الماضي والموروث الفني، وما انجزه تطبيقا (د. عوني) من تطوير وتعديل وطرح بدائل نابعة من ضرورات المسرح الحديث وجمالياته، التي طورت خطاب الحداثة بما انجزه المخرجون العالميون من توصلات تخص المرئي بالمسموع الحواري، ووفق اية نظرة فلسفية جمالية وفكرية.

كان مهتما ببرخت، يشاهد عروضاً عدة لكل مسرحية من مسرحيات هذا المبدع الالماني الكبير، لكنه كان يقترح حلولا ذاتية تنبع من كينونته الوطنية ومن وعيه الانساني العام حين يتصدى لاخراج كل منها وكان يعيد انتاج ما يقرأه (خبراً) في كتاب او مجلة مسرحية او برنامج تلفزيوني لانه لا يقوى على العيش بعيداً عن عصره وهموم انسانه اليومية

وقد يعجب احدهم لتصريحات عوني الاخيرة فقد قال لي، ان (للخبرة) فضائل، منها التخلص من الاندفاعات الطائشة، ومراجعة الانسان الفنان جهوده، بغرض تقويمها، واعادة تشكيل وجهة نظر جديدة بشانها، وبشأن قضايا وطنه. ان جراة عوني، وضعته في مواقع رصد متباينة، لكنها بكل تاكيد، لايمكن ان تعبر عن منظورات الجمال المدهشة التي زخرت بها منصات المسرح، وساحاته المختلفة، التي خاض بها مغامراته المسرحية.

اذهب الى عوالمك الجديدة، وانت تقف في تجربتك الاخيرة مع ممثلين اجانب، وجمهور مختلف، كنت تبحث عن كمال العرض، لكن غضبك النبيل وزعلك على اداء هذه الممثلة او ذاك الممثل وعدم حصولك على وقت للتمرين وقاعة مناسبة لطموحك المسرحي، فان لهذا التلكؤ تبريراً واحداً هو اختلال الانسجام الذي حققه الموت بجدارة مرة حين انتزعك من بين صفوفنا.. وداعاً .. يا ابا حيدر

عوني كرومي.. يا لها من رفقة!!

نص: عزيز خيون

اخترت موتك بنفسك، مذ غادرت بغداد سرة حياتك، مطلع التسعينيات، قاصداً اللا جهة، اللا مكان، مصمماً على اللا عودة، تفتش عن فضاء غير مكبل لروحك المتمردة، ينعش رئة المسرح الذي تفكر وتطمح، بعد أن سدت بوجهك فضاءات الوطن، ضاقت بطيور حلمك سماوات الروح، تقزمت الفرص، تصحرت وردة الحياة، واختنقت دوائرك المسرحية، بجدارة حقد هذا، غيرة وحسد أولئك، وغدر ونفاق ذاك.. غلقت دواليب شوقك والحنين، وانطلقت هرباً بحكمة الطير المدرب دون أن تلتفت خوف أن تصطادك عيون بغداد فتلين وتضعف، ارتحلت لا سؤالاً عن منافذ للرزق والعيش الكريم، ابداً، إنما حفراً موصولاً، لا كلل فيه عن ينابيع أخرى تمكنك من سقاية وإدامة مشروعك الوطني في المسرح، الذي أحسست وبفعل ذئبية سطوة الرقابة الثقافية، وتعملق سلطة الممنوع، ان هالة ضوئه بدأت تنحسر وتضيق، لذا هب عنادك ان يوفر أرصدة جديدة لانقاذ هذا الحلم، الذي أنت وبدون تجلياته الحرة ميت لا محالة، وإن كنت تراك تختال بين الناس حياً، لأن جنة حياتك عوني – هكذا عرفك البعيد، هكذا عرفناك نحن محبيك، من اكتوت أرواحنا معك بجمرة العشق لذاك السيد الجميل.. المسرح – ملازمة لحيوية شغلك، وهيامك حد الجنون بمشروعك المسرحي.

اخترت موتك بنفسك، عندما شرعت تحزم حقائب روحك وسرت إلى اللا أرض، حين ضربت بقدمك تراباً آخر، ولا يخامرني شك بالمرة، أنه وحين أوصدت مغاليق دارك البغدادية للمرة الأخيرة، وودعت العراق، كنت تدرك جيداً، أنك أوصدت المغاليق على وردة روحك وبشكل نهائي وغادرت بلا روح.. لذلك فأنا أعني جيداً عندما أقول أنك اخترت موتك بنفسك، لأنك –يعرف هذا القريبون منك –ومن دون العراق كل الجهات لديك يباس.. لكن شواظ القهر، ووشايات ذوي المعاني النكرة، والآراء القاصرة، فرسان البدلة الوطنية، وكارتات الإخلاص المرحلي، ملوك الثرثرة، من كانوا ينفثون السم في طيب بذارك، من أوقفوا أنوفهم وعيونهم لحصارك، كي يعيقوا انفلات جموحك المسرحي.. كل هذا وذاك عوامل أجبرت قرارك على أن تفر مضطراً صوب خيارك الأول –أكان خياراً حقاً؟! – عمان، حيث احتفت بمقدمك جامعة اليرموك في مدينة اربد.. بداية رسمت لك براءتك الطفلية، وبعض من حظك بالمشورة، أن الحياة ستكون رحيمة بك في هذي البقاع، وأن هناك انفراجة طلسمية في ثغر الدهر حسبتها ابتسامة طمأنة وود، لكنها في حقيقة الأمر، كانت نذير مكابدات وأحزان من نوع جديد، وما هي إلا بعض مدة حتى اكتشفت أن تحليق طيرانك المخاطر يسير خلاف ما تتصور، وبعكس ما تشتهي.. لذلك عاودك الهم، وتلبسك التبرم، وتلاقفتك عقارب الحيرة السوداء تنهش قلبك المرهف، علماً أن بذارك في الجامعة كان طيباً، وتخرجت على يديك مجموعة من الشباب الأردني، ممن منحتهم وقتك وروحك وعبقريتك المسرحية، حد أن تميز البعض منهم، ورفدوا النشاط المسرحي بتجارب مسرحية مميزة.. لكن وبرغم كل ذلك طفقت أنشوطة الضجر تضغط وتضيق حتى كورتك في خانة الصفر.

اخترت موتك بنفسك.. في اضطرارك الأول، حط بك جناح خيارك المضطر في رحبة بلد عربي رغبة منك في أن تبقي على مرونة لسانك والفة سمعك وطراوة روحك، أن تظل قريباً من عراقك، وحقل انشغالك المسرحي، ومن لهم مصلحة بفاعلية هذا النشاط، ولكي تديم اكسير حياتك بشميم عطر بغداد في ثياب القادمين، لاهرباً من بغداد، لا خوفاً من بشاعة الحروب، وجراثيم الحصارات، وآلات الفتك، وأسباب الموت في بغداد، ولكن حرصاً، وحفاظاً على ما تبقى من لآلئ قلادة تلك الصبية الهائلة الجمال، بغداد.. هذه المرة أدرت بابك، ورحلت مطمئناً، غادرت عمان بصدر مشقوق وقلب يلبط وجعاً، هذه المرة قررت أن تطوح بقلبك الموجوع بعيداً.. بعيداً عن أنظار بغداد، بعيداً عن عيون بغدادك التي عشقتها حد البكاء، حد الجنون، بغداد التي كنت تشهدها وهي تتقلى بمقلاة اللهب كل يوم، بل وفي كل لحظة، فكأني بك أشفقت على بهاء وجهها من حزن مضاف، لذلك حشرت روحك وأفراحك داخل منجنيق النفي الذي طوح بك بعيداً عن عراقك، بعيداً عن بغدادك ومسلسل أحزانها اللا ينتهي، بعيداً عن كل أرض العرب، منزوياً في الهناك، حيث الدوران النهم لمطحنة الغربة، تدور وتدور بديلاً عن عقارب ساعة الوقت، تهرس بأضراسها الخرافية لب روحك، وخضرة أملك، وجمار حلمك، الق مزاجك، حياة مشروعك، عافية ذاكرتك وثمار عقلك العراقي المبدع، وتتفنن – على مهل –لنحت تمثال الهاوية..

إلى الهناك سقت عربة مصيرك من اجل أن لا ترى، أن لا تتلكم، وأن لا تسمع، من أجل أن تنسى –أحقاً استطعت ان تنسى؟! –، وهذه المرة في "برلين" موطن دراستك في مراحلها العليا، بالأمس قصدتها تطلب العلم، وتقصدها هاته المرة تطلب موتك.. ها أنتذا تمارس وهماً آخر، حين رحت تمني الحلم أن ابواب الدنيا ستقارع بعضها البعض، تتسابق لأن تفتح دروبها، كي تستقبل حركتك الضاجة وتحتضن طاقتك الخلاقة في فضاءات المسرح: تمثيلاً، وإخراجاً، بحثاً وترجمة، كتابة ومشاهدة، سفراً وتدريساً، تنظيراً وتأسيساً وهجراناً واعياً لبنك الراحة، وتفتيتاً مستمراً لوردة القلب، وتدميراً منظماً لماكنة الجسد.. وهاهو ذا الدهر يمدك بكامل نجداته، ويتحفك بفريد ما تشتهيه وتتمناه من أذرع العون لتحوك جلباب موتك.. هي ذي الحياة تجند كتائب مكرها الذهبية لتنصب لك فخاخ الوقيعة والغدر، وتدفع وجهها العبوس باتجاه مضخات قلبك العليل، أمام اشتعال إصرارك العراقي وقذف نفسك في عربة من النار تطارد نجيمات حلمك العصي في حزم هذا الفضاء العربي أو تلك الفارزة الأجنبية، بمشاريع لا تشبع خزائن روحك المترعة بعشق العمل المسرحي حد التقديس.. ها أنت ترهق مضخة قلبك الموجوع، ومنذ النداءات الأولى لقيامة الصباح، انتهاءً باللا وقت، ولكن بلا جدوى، ودون صيد يناسب مقاسات حجمك، ودوي أسمك، وكأنك تحارب فرساناً لا وجود لهم، أو كمن يطش بأفضل ما عنده من بذار الخير في عويل عاصفة هوجاء ترفض ان تهدأ.. فكم من المرات التقيتك في هذه الاحتفالية المسرحية، أو ذاك المهرجان، وكان خنجر الألم يذبحني ذبحاً وأنا ألحظ ملامحك الجميلة تغير عليها وحوش الانكسار والمرارة، ويتلهى بحزنها الجليل غبار الخيبة.

اخترت موتك بنفسك.. أنت تدرك جيداً أن أحجام الفرص التي تقدمها تلك الجهات إليك أو هذي الجهة لا تتناسب وعلو قامتك، وهي غير كافية بالمرة لترجمة حجم الطموح الذي تحمل، والهم الذي تنشغل، والقضية التي تدافع، والحكم الذي تنوء به روحك المعذبة القلقة.. ومن قلقي، من خوفي، من محبتي، أحاول أن أحيد عنك لأعيرك، لأصيرك.. أدري أني أكذب نفسي، أناور قناعتي، وأزيف قصدي، أدري أنه لا وجود لحيلة أخرى، أدري أنه ليس في أدراج هذا الزمن من حل، وليس هناك من أمل قريب، ففي منعرجات هذا العالم المائل كل الأبواب مغلقة أمام السيدة الحقيقة.. إذن ما العمل؟ هل ننقل بغداد إلى برلين، أم نأتي ببرلين إلى بغداد؟ لم يبق هناك من مسعى، سوى أن تؤاخي بينك وبين قدرك، وإلا ماذا تفعل وأنت صاحب مشروع عراقي كبير، ونفس أبية، صاحب حلم مجنح.. ماذا يمكنك أن تصنع أمام دهر يكافئ اللص، وينكل بالشريف، يبرئ القاتل ويعاقب القتيل؟! كيف تتصرف مع زمن يعلي الجاهل، ويضحك من صماخ العالم، ماذا تقول لزمن من كان فيه عوناً يصبح طالباً للعون؟.

عوني.. اخترت موتك بنفسك.. وكلما يهزنا هذا الدهر بمنخله اللا يرحم ونلتقي تحيرني طلعتك بإنذاراتها المقلقة، بإجاباتها الدامغة، أنك يا أبا حيدر وسيف ورؤى مفارقنا لا محالة، لكن وبرغم بؤر الأسى التي تسوط روحك بصخبها الماجن، تروح تطوقني بعافية إرادتك، وتراقصني بضحكتك الطفولية المجلجلة لدرجة أنك بضجيجك الحلو، وحيويتك اللا تهدأ، تنسيني ما تود روحي الإفصاح عنه.. وما أن نفترق، ونجتمع ثانية حتى ينط مني قلقي مهرولاً إليك لما آلت إليه ماكنة جسدك الشريف من وهن، وصورتك الأنيقة من شحوب، يزرع في ضميري هلعاً لا يمكنني التصريح به.. وفي فترة لاحقة أنبري لاستثمر وجودي معك في برلين، بمناسبة بدء عمليات مشروعك الثقافي الذي دعوت إليه، حددت فكرته ووضعت برنامج عمله، واعني به برلين –بغداد، رؤى مسرحية، الذي أجهدت قلبك لسنتين متتاليتين، وأنت تطرق أبواب الجهات الألمانية صاحبة العلاقة من أجل إظهاره إلى الحياة، لأطرح عليك شوق بغداد إليك، بعد أن سبقني لهذه الانتباهة أصدقاء آخرون، بحكم زوال أسباب ابتعادك وبشكل نهائي..

وبرغم اضطراب مداميك الحياة في العراق عامة وبغداد بخاصة، من استهانة كاملة بطهارة وعزة الدم العراقي، ومن إبادة يومية للعراقيين دون تمييز، وبرغم فجيعة الاحتلال الكامل لتراب الوطن، توافق على الفور حال انتهائك من رحلة عمل إلى القاهرة.. ويملأني البشر، ومن كان يشاركني الجلسة.. لكني ما كنت أدري عوني، أنك وبغفلة منا رحت ترتب حلقات قدرك وبوعي كامل، وإن محركات الظرف هي الأخرى كانت تناغم هواك، وتعمل في الخفاء لاغية الرحلات الجوية بين القاهرة وبغداد، لترمي موعد عودتك في دهاليز الغياب.. ما كنت أدري أن مجمع الأقدار يذهب بك عكس ما نشاء ونشتهي.. ولكني أدري أيها العزيز، أنك اخترت موتك بنفسك كأي فارس نبيل من ذلك الطراز الخاص، المميز والنادر، من تحتفي بذكره الطيب بطون الكتب وأسفار التاريخ..

عوني، يا خلاً من ابتسامة دائمة وروحاً حلوة.. عوني يا براءة طفل ووفاء نبي.. عوني يا أخ الروح والمسرح والمصير.. عوني في موسم الخسارات هذا عظيماً فقدنا فيك.. وايم الله نستجدي الصبر، ونسكن حرائق المهج فلعل وعسى، ولكن عزاءنا بغيابك الفاجع أنك كتبت سيرة بهية لعراقيتك، أخلصت لمشروعك الوطني في المسرح.. وفي زمن ترمل فيه الوفاء، كنت الوفي لأصدقائك.. فسلام من النخل والرافدين عليك.. من بغداد افتقدتك..

وحنت إليك.. سلام عليك صفياً أصيلاً، عراقياً نبيلاً.. علماً مسرحياً.. وصوتاً لا يموت.

من اعمال الفنان الراحل عوني كرومي

عوني كرومي
الخطوات والاحزان الشاغرة

كريم شغيدل

الطائر الامهر، طائر الموت، ليس مهماً على كتف من يثبت، ليس مهماً ان تكون خياراته عشوائية ام في منتهى الدقة، يجيء بالمصادفة ام بعد طول ترقب وتخطيط فلا قوانين لمواعيده، ولا جدوى من انتظاره، كما لا جدوى من الهروب منه الى الدهاليز او العراء، الى الابراج او الى نهر الموت لاسترداد عشبة الخلود من بطون الخبايا ،لا بالاسطورة ولا بالشعر، لا بالبطولات ولا بالسحر، لا بالنحيب ولا بالمسرات، يمكننا، نحن المولودين على اديم مملكته، ان نحرم ذلك الطائر الامهر، من نعمة الوثوب على كتف احدنا، في اللحظة التي يحوم فيها ويلقي بظلال جناحيه دون ان يكون بمقدورنا، ان نستقدمه ساعة او نستاخره ثواني معدودات، وها هو يختار لحظة تراجيدية، لانقول ان عوني اسهم بصياغتها او انه لم يسهم لا نقول انه تمناها او لم يتمنها، ولا نقول بانه ارادها تتمة لعرسه الاخير (مسافر ليل) او لم يردها، فكانت النهاية.

لقد اختار الطائر الامهر، هذه المرة، عوني مخلفا في نفوسنا لحظة ارملة منكرة هي لحظة لقائه وعناقه هنا على هذه الخشبة عشقه الاول وملاذ صحوته وثورته وهو يدافع بالكلمة عن الانسان، الانسان الانسان، الذي عانى من اجله عوني سكرات العيش، وتحمل من اجله غصة الموت، وها هو عوني يرتقي سلالم الخلد في الملكوت، بقلب قديس وابتسامة نبي وخطى شهيد اكثر نقاء من دمعة طفل، واكثر اطمئناناً وتوحداً من روح عارف انكشفت له الاستار في حضرة الحق، وانوجدت ذاته في ذات الحق بالفناء.

رحل عوني وتركنا وحيدين، بلا كريولان ولا غاليلو، بلا انسان طيب، بلا كرسي هزاز بلا بير وشناشيل تركنا مسافر الليل بين مشعلي الحرائق،نتلفت خوف ان يحرموا علينا تأبينه او الاحتفال بمولده تركنا ولا نعرف من منا سيعيش اكثر منه جسداً وروحاً ونبلاً، وذاكرة ووعياً، وتاريخاً وابداعاً رحل عوني، ولكننا سنظل نراه، ينهض من الانسان المغروس في ضميرنا ووجداننا، سننتظره في كل مرة يطل علينا من ستائر المسرح، وقد انسل بلباس راهب وتسلل من جدار كنيسة عتيقة، او من معبد اشوري للشمس، او من نخلة مباركة هزتها الريح في يوم ممطر، رحل عوني، كنجم افل من سماء غريبة في ليلة موحشة او مكتظة بالاحبة، رحل عوني.. ولكن السؤال الاهم، هل هو بحاجة لنا الان؟ ام نحن الذين سنحتاجه؟ اظنه رحل بمؤونة كافية، من الصدق والنبل والاحزان والاحلام، وترك بيننا كرسيا شاغرا، في هذه القاعة في كل عرض مسرحي، قادم، وترك درساً شاغرا بين طلبة الفن لاجيال قادمة كما ترك خطوات شاغرة واحزانا شاغرة في رحلة البحث عن الانسان الطيب وسط الحرائق.